

مَنْظُومٌ مِّنْ صَرْفِ الْعَنَانِ عَنْ طَرِيقِ النَّيَّارِ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَانِ

نظم الأديب الواعظ

محمد زود بن محمد بن صلاح بن موسى الروتوي القوتبي الفداني الشناوي

نظمها عام ١١٨٦ هـ

تقديم وتحقيق وتعليق

أدم عبد الله الإلوري

مؤسس مركز التعليم العربي الإسلامي
أبجيجي - بنيجيريا



مكتبة نوره

٤ شارع الجمهورية/عابدين/القاهرة

ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

obeikan.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي رفع قدر العربية بين اللغات ، ورفع قدر من يتكلم بها بين الأمم بقوله ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .

(آل عمران: ١١٠)

والصلاة والسلام على النبي العربي الذي فتح باب التعريب على مصراعيه لكل مسلم بقوله « إن العربية ليست من أحدكم بأب ولا بأم وإنما هي لسان ، وكل من تكلم بالعربية فهو عربي » .

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فإن من بركات الإسلام التي عمت سائر الأنام أن يصبح الكافر مؤمناً والأمي متعلماً ، والزنجي الأعجمي متعرباً ،

والهمجي العنجهي متحضرًا ومتنورًا، والجاهل عالمًا بفضل تعلم القرآن ، ومن البلاد التي باركها الله فأسلم أهلها في الصدر الأول من الإسلام ، ووجد منهم من نضج في اللغة العربية إلى درجة تأليف النثر ونظم الشعر لبث الخير وقمع الضير ، تعد بلاد التكرور التي عرفت أخيرًا بني جيريا على لسان الاستعمار ، وفي بلاد التكرور هذه أكداس من آثار الأدب العربي مطمورة ، ربما يندر وجود مثلها في كثير من العالم الإسلامي الطويل العريض ، ولكن انفصالها بفعل الاستعمار عن العالم العربي أيام ظهور المطابع لإحياء التراث القديم ، وأرى في التراث كثيرًا من تلك الآثار الخاصة بهذه البلاد ، من تلك الآثار الدالة على النضوج الفكري في الأدب الإسلامي منظومة صرف العنان التي كان يقرؤها كل مبتدئ في المعاهد والمنازل والمدارس ، ويردها كل واعظ في المساجد والمحافل والمجالس ، لقد سمعتها أنا لأول وهلة من والدي رحمه الله تعالى حين كنت صبيًا وهو يعظ بها الناس في المساجد ، وقرأتها عليه

في المنزل قبل قراءتي على معلمي في المدرسة كما قرأها زملائي على آبائهم في منازلهم قبل قراءتها على أساتذتهم ، وهى أول أرجوزة غرد بها ديكى الصدوح بعد كتاب الله أول بدايتي للوعظ والإرشاد في قرية أومي بقرب مدينة إبادن ١٩٣٥ م ، ولم يزل الآباء المتعلمون والمشايخ المدرسون يأمرسون الأبناء والتلاميذ بقراءتها وحفظها ضمن كتب الوعظ والإرشاد ، حتى كلت همم الطلاب من استعمال الكتب المخطوطة ، فصارت المنظومة تنطوي بالتدريج في ذيل النسيان ، كما انطوت أمثالها ، وكنت قد آليت على نفسي منذ نضوج فكري أن لا أدخر وسعاً في إحياء مثل هذا التراث العربي الإسلامي ما استطعت خدمة للوطن والأدب والإسلام ، لهذا أخرجتها للناس راجياً من الله التوفيق .

نوفمبر ١٩٧٤ م

آدم عبد الله الإلوري

obeikan.com

عصر المغيلي وبعده العصر الفلاني

ولكمال تعريف ناظم العنان ، لابد من ذكر عصره الذي كان آخر عصر المغيلي الذي سبق العصر الفلاني وذلك أيضاً يستدعي ذكر شيء عن الإمام المغيلي الذي أثر كثيراً على بيئته التي امتدت آثارها إلى عصر الناظم فنقول .

إن الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي استوطن مدينة كانو وكاشنة وأقدس وزندر وتكدّه معلماً وقاضياً ومرشداً قد تأثر به كثير من معاصريه ، وأخذوا عنه العلوم من أهل بلاد السودان منهم الشيخ العاقب بن عبد الله الأنصماني التكداوي ومنهم الشيخ النجيب بن محمد شمس الدين التكداوي ، ومنهم الحافظ مخلوف البلبالي ، ومن هؤلاء أخذ الشيخ البكري والشيخ ولديد الفلاني البرناوي المتوفى ١٠٠٢هـ ، والشيخ سليمان الباغرمي

والشيخ عمر بن محمد بن أبي بكر وناظم دمي ، ثم أخذ من هؤلاء الشيخ الطاهر بن إبراهيم فيرمه ناظم الكبرى ، والشيخ عبد الله ثقة صاحب عطية المعطي ، والشيخ محمد ابن الصباح ، والشيخ محمد بن مسني شارح العشرينية وأزهار الربا ، والشيخ محمد الوالي بن سليمان صاحب أوصيكم ، والشيخ جبريل بن عمر الذي تخرج عليه ابن فودي ، ويلحق بآخر هذه الطبقة شيخنا صاحب الترجمة وناظم صرف العنان . وهو معاصر ابن فودي لأنه نظم صرف العنان عام ١١٨٦هـ وابن فودي بدأ في دعوته عام ١١٨٠هـ وبدأ في الجهاد عام ١٢١٨هـ (شريح) .

ناظم صرف العنان

هو الشيخ محمد مود بن محمد بن صلاح بن موسى الفلاني الكشناوي لم نقف على تاريخ ولادته ، ولا على تاريخ وفاته ، ولم نعرف له تأليفاً غير صرف العنان ولكنه ذكر تاريخ نظمها في آخر المنظومة مشيراً إلى أنه نظمها سنة ١١٨٦هـ .

أما صرف العنان فليست بقصيدة شعرية ولكنها منظومة رجزية أدبية أخلاقية ، والأراجيز مع عدم التزامها للقيود الشعرية التي التزمها البحور الأخرى تعتبر أدباً كالنثر الفني .

لذلك يحشر أمثال ابن مالك والسيوطي وغيرهما من أقطاب الشعر التعليمي في زمرة الأدباء .

ثم إن الوعظ والإرشاد مظهر من مظاهر الأدب لأنه

عنصر من عناصر الإصلاح الاجتماعي ، والتصوف والأخلاق قسمان من أقسام التربية والتهذيب ، فلا جرم إذن أن يعد صرف العنان أدباً أخلاقياً ، ومن العلماء من نظموا القصائد في التحضيض على الفضائل والتنفير عن الرذائل ، وبعبارة أخرى من ذكروا المهلكات والمنجيات ، ومنهم من أفردوا فن منظوماتهم بذكر المهلكات والتنفير عنها ، كمذهب أحد أصحاب النبي ﷺ وهو حذيفة بن اليمان الذي قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه وعليه قول الشاعر :

عرفت الشر لا للشر

ولكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر

من الناس يقع فيه

وقال الإمام الغزالي في بداية الهداية : اعلم أن الدين شطران أحدهما ترك المناهي والآخر فعل الطاعات ، وترك

المناهي هي الأشد ؛ فإن الطاعات يقدر عليها كل أحد وترك الشهوات أو المناهي ، لا يقدر عليها إلا الصديقون ، ولذلك قال رسول الله ﷺ (المهاجر من هاجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه) .

فالفضول والحقد والحسد والنفاق والخيانة والغيبة والنميمة والكبر والكذب والزنا وحب الدنيا ...

هي الموبقات التي أودت بالمجتمع الإسلامي قديماً وحديثاً والأدواء التي أورثت المسلمين الفرقة والانقسام ، والتأخر والتدهور أو السموم التي فتكت بنفوس المصابين بها فتكاً ذريعاً فأوردت بها ، ولقد ركز الناظم إرشاده على اجتنابها في هذه المنظومة التي تبلغ مائتي بيت وعشرة ، كما رمز إليه بقوله (أطر) في آخر بيت منها :
أبيات أرجوزتي عدها أطر

وكل من يعمل بما فيها يطر

والمنظومة سهلة التركيب ، سلسلة التأليف ، متينة الأسلوب ، واضحة المقصود ، نافعة للعباد في جميع البلاد ،

منظومة بقيت على مر الزمان مرآة شفافة انعكست عليها
نفسية الناظم الشعرية وظهرت فيها بلاغته الأدبية ،
وحماسته الدينية ، وثقافته العلمية ، وتجلت عليها بيئته
العصرية وحالة قومه الاجتماعية ، ومكانة العلماء في
المجتمع والدولة .

إن الزمان بإعادة مثل تلك البيئة ضنين على أهل هذه
البلاد ، فإن تلك البيئة ، وإن كانت أعجمية الأصل والوضع ،
فقد تحولت بفضل الإسلام عربية القلب والطبع .

فلا غرو في ذلك لأن الإسلام هو الذي عربّ البرابرة في
أفريقيا والأقباط في مصر ، لأنه جزء من العربية الخالصة
لا يتجزأ ، لهذا قيل على لسانها كما قال الشاعر :

اقْتُلُونِي وَمَالِكًا

واقْتُلُوا مَالِكًا مَعِيَ

وإذا استمعنا إلى شكوى الناظم الجهير ، وتحسره
المرير على تدهور العلم وتوهين قدره ، وضعف عزيمة
طالبه ، وإعراضهم عن طلبه ، وانشغالهم بالدنيا عن

الآخرة، وإقبالهم على التجارة والصناعة ، وانتبهنا لإشارته
إلى اهتمام البقية الباقية من طلابه بحب المال والعاج
والحطام ، علمنا أن هناك عصرا قبل عصر الناطم راج فيه
العلم وازدهر به الأدب ، وتشرف الطالب ، وسما قدر العالم ،
اسمع ما يقول في أول المنظومة :

وبعد لما قد رأيت القرا

مالوا إلى جلب الحطام طرا

ورفضوا وراءهم تعلمنا

حتى استووا في رفضهم بهائما

ومنهم التاجر بالأسفار

ومنهم الهاجر بالأسفار

أردت تنبيه السعيد منهم

وهم قليلون وهم هم ما هم

وهم كمثل الشعرات السودا

في رأس ابنا حقب وجودا

ألفت من رويتي أرجوزة

بليغة لزرهم منجوزة

تسعد من يعمل بها سعادة

تبيد من يفندها إبادة

ثم رفع عقيرته في وسط المنظومة يشكو بوار العلم
ويوبخ طالبي المال بقوله :

هذا زمان بار فيه العلم

حين علاه واعتلاه السوم

وغيم نوره بحب الجاه

والمال والطمع بلا تناه

ونظر الطلاب للأموال

ونابذوا عزة ذي الجلال

فرحم الله الناظم حين يشكو بوار العلم في عصره ، وهو
العصر الذي أنجب مشايخ ابن فودي وأقرانهم ، وكانوا
يبلغون مئات فماذا يقول لو عاش في عصرنا هذا وشاهد
طغيان الثقافة الغربية على العربية واعتلاء المسيحية على
الإسلام ، وعدوان المادية على الروحية ؟ فإننا لله وإنا إليه
راجعون !

ثم نوه الناظم بفضل طلب العلم لنفع العباد ، وقمع
 الفساد في جميع البلاد فقال رحمه الله :
 وطالب العلم حبيب الله
 وجالب المال خيب الله
 حسبك منه أنه ضياء
 ما ساقه دجل ولا غباء
 صاحبه مكرم مهاب
 أنى تواجهت به الركاب
 يخافه العدو والولي
 لأنه أمره العلي
 لكل شيء عنده تميز
 وجب أو استحال أو يجوز
 لا يلج الدارين بالأدبار
 ليس كمن يخطو على الجمار
 تطرق الناظم إلى الكلام في النهي عن مخالطة السلطان ،
 وأوضح أن السلاطين نوعان نوع سلطان جائر ونوع آخر
 سلطان عادل ، وإذا ورد النهي عن مخالطة السلاطين فهم

الجائرون الذين يتخلقون بأخلاق نمروذ وفرعون لهذا قال:
إياك من تخالط السلطان

بل فوض الأمر إلى الرحمن
جل الأنام نحوهم التصقوا
بالصيت والجاه مع الدنيا الزقو
يرون أن خلطة السلطان

أفضل من عبادة الرحمن
لقد وردت أحاديث كثيرة تحذر العلماء من مخالطة
السلطان منها « العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان
وما لم يدخلوا في الدنيا وإذا خالطوا أو دخلوا فقد خانوا
الرسل فاعتزلوهم واحذروهم، والسلطان من له سلطة وقوة
وقدرة وشوكة ، فيشمل الأمراء والأئمة والملوك والرؤساء
وولاة الأمور، إذ العبرة بالمعنى والعمل لا بالاسم واللقب.

ثم قال في السلطان العادل :
فاعلم بأن أعدل المملوك
لأرفع الرتبات ذو سلوك

لكونه يحكم بالقرآن

والسنة البينة البرهان

لا يأكل الأموال بالبطان

ومن يكن كذاك من سلطان

فجاذن وصله تجبـيذا

وعوذن غيره تعويذا

يؤخذ من هذا جواز مخالطة السلطان العادل الذي يقبل النصيحة من العلماء لحديث (السلطان ظل الله في الأرض من غشه ضل ومن نصحه اهتدى) ولحديث (الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم).

أما السلطان الجائر الذي يلجم الناصح ، ويقول من قال اتق الله قطعت رأسه ، فلا يجوز القرب منه إلا بقدر إعلان الحق الذي جاء في الحديث « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

وأوضح الناظم أن هناك طائفة من العلماء يفضلون خلطة السلطان على عبادة الرحمن من أجل الصيت والجاه

وتحصيل الأرزاق ، مع أن الله قد قسم الأرزاق من فوق عرشه ، فليس للمخلوق في ذلك حول ولا قوة في إعطاء من منع الله ومنع من أعطى الله .

ومعنى الكلام بعبارة أوضح ، الابتعاد عن العمل تحت الحكومات الجائرة التي لا تحكم بالقرآن ، أما الحكومات الإسلامية العادلة فيجوز معاونتها على العدل .

اختتم الناظم بما سماه مذهب النجاة وضمنه خلاصة التصوف الذي درج عليه المتقدمون من علماء الإسلام في هذه البلاد وهو مذهب الصحابة والسلف الصالح ، وهو الجمع بين العبادة للآخرة والعمل والكسب للمعيشة في الدنيا . ولقد أدر كنا علماءنا يأكلون من أعمال أيديهم ، فمنهم الزارع ومنهم التاجر ومنهم الحائك ومنهم الخياط ومنهم الكاتب ، ولم يكن أحدهم يأخذ المرتب الشهري من سلطان أو دولة لذلك ظلوا أحراراً لا يعيشون تحت رحمة أحد غير الله .

فيجب تقسيم العلماء إلى ثلاثة أقسام :
علماء موظفون في الدولة كالقضاة والولاة والوزراء
والأئمة تحت وزارة الأوقاف ونحوها .
وعلماء عاملون في المدارس والمساجد كالأساتذة
والأئمة تحت نظام آخر كعلماء الشيعة والهيئات الإسلامية.
وعلماء مستقلون في أنفسهم ومعتمدين على أعمال
أيديهم .

وإني أعتقد أن القسم الأول قلما استطاع كلمة حق عند
سلطان جائر ، أما القسم الثاني والثالث فهما على مذهب
السلف الصالح الذين كانوا يمتنعون عن القضاء كأبي حنيفة
ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأمثالهم ، وربما انطبق
عليهم قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا آلَكَتَبَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ
عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ
بِالْخَيْرَاتِ إِذْ ذَكَرَ اللَّهُ ﴾ (فاطر: ٣٢) جعلنا الله منهم .

لا شك أن هذه المنظومة قد ترجمت عن إيمان الناظم
العميق وعن إسلامه السحيق، وأدبه السامي ، وثقافته

الناضجة ، وباعه الطويل ، وتجربته الجيدة ، ومعرفته
الكاملة للدين والأدب والأخلاق والدعوة والإرشاد ،
وكذلك ظهرت قدرته على إيراد الألفاظ التي تطابق المعاني
يدعوها وتستجيب له طائعة غير مكرهة ، فتصيب مقصده
من غير تعقيد ولا ترديد في أسلوب لا غموض فيه
ولا التواء ولا جفاء ولا خفاء ، إلا ما كان من تحريف
الكاتبين وتغيير الناسخين ، وتلك نعمة أنعمها الله عليه
حتى تحدث بها عملاً بقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى: ١١) فاسمعه يقول :

نظمتها بلحمة المعاني

بقالب البديع والبيان

بمنوال الصوف مع أصلين

فقه وتوحيد كتوأمين

ولا ترى بها من التعقيد

لفظاً ولا حرفاً من التردد

ليس بها تنافر الحروف

ولا بها شيء من الطروف

من ذا الذي يسمع أو يقرأ هذه المنظومة ويتهم الناظم
بأنه أعجمي كشناوي فلاني ببلاد التكرور ، كلا ثم كلا .

وإنما يحسب أنه يقرأ منظومة للعربي الأديب الناقد ،
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وبعد : فإن الشيخ محمد مود أحد مئات علماء نيجيريا
المجهولين في العالم . ومنظومته هذه إحدى آثار الأدب
العربي المطمورة في زوايا الإهمال .

وها أنذا أتشرف بتعريف الناظم ، وتقديم المنظومة مع
تعليق وجيز إلى إخواننا القراء من أبناء العرب والعجم ،
رجاء أن يستفيدوا من المنظومة ديناً وأدباً وخلقاً وتهذيباً ،
فما أحوجنا إلى ذلك كله في هذا العصر الزاخر بما يفسد
الدين والأدب والخلق . وأسأل الله لنا وللناظم الغفران ،
وأرجو أن يضع الله لنا وله هذا العمل في الميزان وهو
المستعان وعليه التكلان !

آدم عبد الله الإلوري

obeikan.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَحْمَدُ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ
يُنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعَنُوفِ
بِحُرِّ صَلَاتِهِ لِمَنْ قَدْ أُرْسِلَا
بِجُمْلَةِ الْخَيْرِ وَمَنْ امْتَثَلَا^(١)
مُحَمَّدٌ خَيْرُ الْوَرَى الْمَكِّيِّ
الْهَاشِمِيِّ الْقَرَشِيِّ الزَّكِيِّ
تَصِلُ لآلِهِ ثُمَّ صَاحِبِهِ صَلَّةً
تَحُطُّ عَنِّي كُلَّ ذَنْبِي جُمْلَةً^(٢)

-
- (1) أحمد من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وبحر الصلاة على من أرسل بجملة الخير ، وامثل أمر الله فيها .
(2) تصل هذه الصلاة إلى آله وصحبه ، وتقرأ باختلاس الهاء في الاثنين أي تصل صلاة تحط عني ذنوبي جملة .

وَبَعْدَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْقُرْآنَ
 مَالُوا إِلَى جَلْبِ الْحُطَامِ طُرَا^(١)
 وَرَفَضُوا وَرَاءَهُمْ تَعَلُّمًا
 حَتَّى اسْتَوَوْا مِنْ رَفَضِهِمْ بِهَائِمًا^(٢)
 وَمِنْهُمْ الطَّوَّافُ فِي الْبِلَادِ
 وَمِنْهُمْ الْعَوَّاقُ لِلْعِبَادِ
 وَمِنْهُمْ التَّجَّارُ بِالْأَسْفَارِ
 وَمِنْهُمْ الْمُجَّارُ بِالْأَسْفَارِ^(٣)
 وَمِنْهُمْ غَيْرُ ذَاكَ مِنْ أَغْيَارِ
 تُوَاغِلُ الْحَلِيفَ فِي الْأَغْوَارِ^(٤)

-
- (1) لما رأيت قراء القرآن والحديث والفتوى في الدين والأدب والعلم مالوا إلى جلب حطام الدنيا وحظوظ النفس .
 (2) حتى استووا بهائمًا فيه حذف الواو لضرورة وأصله استووا مع البهائم ، نحو استوى الماء والخشبة وحكمه في النحو معروف .
 (3) الأسفار الأول من الرحلة ، والأسفار الثاني من السفر جمع الكتب .
 (4) الأغيار جمع غير . والأغوار جمع غور . تواغل الحليف في الأغوار أي تدخل المصاحب في الغور حتى لا يسلم منه .

وَمِنْهُمْ الْأَجْرَاءُ لِلتُّجَّارِ
وَمِنْهُمْ السُّحَّارُ كَالْفَجَّارِ
أَرَدْتُ تَنْبِيَةَ السَّعِيدِ مِنْهُمْ
وَهُمْ قَلِيلُونَ وَهُمْ هَمَّ مَا هُمْ
وَهُمْ كَمِثْلِ الشَّعْرَاتِ السَّوْدَا
فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَحْمَرَ وَجُودًا^(١)
لَكِنَّ رَبِّي مِنْ عَلَى الْبَعْضِ
لَمْ يَأْخُذُوا تَعَلَّمَا بِالرَّفْضِ^(٢)
أَلْفَتْ مِنْ رَوَيْتِي أُرْجُوزَهُ
بَلِيغَةً لِرَجْرِهِمْ مَنْجُوزَهُ^(٣)

-
- (1) وهم كمثل الشعرات السوداء وجوباً في رأس أبناء الثمانين عاماً. وفي بعض النسخ في جلد ثور أحمر كما في الحديث .
(2) لكن الله ربي من على البعض منهم فلم يرفضوا التعليم رفضاً باتاً .
(3) قوله منجوزة من نجز الحاجة بمعنى قضاها بسرعة وهي لغة في أنجز .

تُسْعِدُ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا سَعَادَهُ
تُبِيدُ مَنْ يُفْنِدُهَا إِبَادَهُ^(١)
يَا رَبِّ صَيِّرْنَا مِنَ السُّعَدَاءِ
وَلَا تُصَيِّرْنَا مِنَ الْبُعْدَاءِ

الزجر عما لا يعني من الفضول
يَا صَاحٍ فَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ الْخَلْقِ
مَنْ فَرَّ عَنْ ظِلَامِ بُغْضِ الْحَقِّ
وَرَفَضِ الْخَوْضِ وَقِيلَ قَالَا
فَفَازَ بِالْحُبِّ لَهُ تَعَالَى
أَقْبَحُ مَا يَكُونُ مِنْ دَهَالِزِ
مَحَاضِرِ الْفُسَّاقِ وَالتَّوَاكِرِ^(٢)

-
- (1) من يفندھا أي من يضعفھا من أفند يفند وفند يفند .
(2) وفي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :
« إياكم والجلوس على الطرقات فقالوا ما لنا بد إنما هي
مجالسنا نتحدث فيها قال فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا
الطريق حقها قالوا وما حق الطريق قال : غص البصر وكف
الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

دَامُوا عَلَى سَبِّ الْوَرَى بِلا سَبَبٍ
 نَمِيمَةٌ وَغِيَّةٌ لَهُمْ أَدَبٌ
 تَرَاهُمْ يَرْنُونَ لِلزُّوَارِ
 نَظَرَ الصُّقُورِ صِغَرَ الْأَطْيَارِ
 إِيَّاكَ إِيَّاكَ مِنَ الْبَطَالَةِ
 لِأَنَّهَا مَشِيمَةُ الْجَهَالَةِ^(١)
 لَا تَلْتَصِقُ حَلَائِفَ الْفُضُولِ
 فَإِنَّهُمْ سَخَائِفُ الْعُقُولِ^(٢)
 مَلَّ رَقِيبُهُمْ مِنَ الْعِتَابَةِ
 سَامَةٌ الْعَتِيدِ بِالْكِتَابَةِ^(٣)

-
- (1) المشيمة غشاء ولد الإنسان يخرج معه عند الولادة وهي كالغلاف أو الكيس له ، وفي نسخة من شيمة الجهالة .
 (2) حلائف جمع حليف وهو رفيق وصديق ، وسخائف جمع سخيفة وهي كالنقيصة .
 (3) العتابة كالعتاب وهو اللوم كأنما يلومه الرقيب على أنه لم يعمل خيراً حتى يكتبه بينما كتب العتيد الشر حتى سئم من الكتابة وقوله تبادلاه في البيت التالي جاء في نسخة ألا تبادراه بارتسام .

مَا لَفَظَ اللَّافِظُ مِنْ كَلَامٍ

أَلَا تَبَّادَلَاهُ بَارْتِسَانٍ

جُلُّ النَّجَاةِ فِي التِّزَامِ الصَّمْتِ

وَعَظِ الْأَبْصَارِ وَحُسْنِ السَّمْتِ^(١)

في الزجر عن الحقد والحسد

لَا تَحْسُدَنَّ أَخَاكَ فِيمَا يُؤَلَّى

تَكُونُ عَنْ خَيْرَاتٍ مِّنْ يَتَوَلَّى^(٢)

إِنَّ الْحُسُودَ أَخْبَثُ الْبَرَايَا

نَيْطُ بِهِ أَكْثَفَةُ الرِّزَايَا^(٣)

مَنْ أَجْهَلُ النَّاسِ سِوَى الْحُسُودِ

يَغْضَبُ مِنْ قَضِيَّةِ الْوُدُودِ

(١) الصمت كف اللسان بالسكوت عن الكلام والسمت بالسين الهيئة والزي .

(٢) لا تحسد أخاك على ما أولاه الله من النعمة لئن فعلت تكن من يتولى عن الخيرات .

(٣) نيط به : أي علق به أثقل المصائب .

تَرَاهُ قَدْ عَادَى بِلا دَلِيلٍ
حَاقَ بِهِ مَصَائِبُ الْجَلِيلِ
لَا تَحْسُدَنَّ مَنَّةَ الْمُتَّانِ
مَنْ ذَا يُدَالِظُ حَنَّةَ الْحَنَّانِ ^(١)
تَزِيدُ مَنْ حَسَدَتْهُ الشَّرَافَةُ
ثُمَّ إِلَى نَفْسِكَ السَّرَافَةُ ^(٢)
وَلِلْحَسُودِ فِتْنَةٌ شَدِيدَةٌ
وَذَلَّةٌ وَنِقْمَةٌ مَدِيدَةٌ
مَتَى رَأَى نُزُولَ غَيْثِ الرَّحْمَةِ
تُصِبُهُ غَشِيَةٌ تُزِيلُ شَحْمَهُ
لَوْ كُنْتَ قَادِرًا لَمَا عَجَزْتَ
لَوْ تَكُ مَنْ يَزِيدُ مَا نَقَصَتْ

-
- (1) من ذا يدالظ الحنان بمعنى من ذا يدافع رحمة الرحمن .
(2) تزيد من حسدته الشرافة ثم إلى مائك العذب السرافة وهي
دودة الفراش تتغذى بالأوراق والأثمار والنفيس كل جوهر غال.

لَوْ كُنْتَ سَامِعًا لَمَا لَوَيْتَ
لَوْ تَكُ مَنْ يَبْصُرُ مَا أَعْمَيْتَ
لَوْ كُنْتَ ذَا الْكَلَامِ لَمَا لَغَوْتَ
كَيْفَ تُطِيقُ ضُرَّ مَنْ حَسَدَتْ^(١)
لَمَا انْتَفَتَ عَنْكَ صِفَاتُ الْأَثَرِ
مَعَ الْكَمَالِ قِفْ شَخِصَ الْبَصَرِ^(٢)

(1) لو كنت قادراً على دفع رحمة الله عن أحد لما عجزت عن إنزالها على نفسك ولو كنت من يزيد الخير لنفسه لما بقيت ناقصاً ولو صرت عالماً كل شيء لما جهلت سبل الخير ولو كنت واهباً الحياة لاتقيت الموت . ولو كنت سامعاً لما لويت عن الحق . ولو كنت بصيراً لما اخترت العمى على الهدى . ولو كنت ذا الكلام لما لغوت . فكيف تقدر على أن تضر أحداً بالحسد .

(2) لما انتفت عنك صفات التأثير بالفعل والقوة والطبع على المخلوقات وانتفت عنك صفات الكمال وتحصيل الخير لنفسك فقف شاخصاً بصرك لترى ما يفعل الله بمحسودك .

الحَقْدُ إِخْفَاءُ الْقَذَا فِي الصَّدْرِ
مَنْ مَاتَ فِيهِ لَمْ يَزَلْ فِي الضَّرِيرِ

الزجر عن الخيانة

مَنْ عَافَ قَوْلَ الْحَقِّ كَيْلًا يُبْغِضَا
وَحَالَفَ الْمُنْكَرَ كَيْلًا يُرْفِضَا^(١)
وَوَاجَهَ النَّاسِ بِمَا يَرْضَوْنَهُ
فَهُوَ الْخَوْنُ عَوْدَنْ كَوْنِهِ
أَعْجَبُ مَا رَأَيْتُ فِي الْإِخْوَانِ
تَمَائِلَ الْأَعْنَاقِ بِالْخَوَانِ
إِنْ قُلْتُ بِالْحَقِّ فَائْتِ الْأَحْمَقُ
كَفَاهُمْ هَاوِيَةً أَنْ يَلْحَقُوا

(1) من ترك قول الحق كيلا يبغضه الناس وحالف أهل المنكر كيلا يرفضه الناس وواجه كل أحد بما يرضيه يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه فهو الخون فاربأ بنفسك أن تكونه . وفي نسخة من خاف قول الحق كيلا يبغضا .

إِلَّا الَّذِي تَابَ قُبِيلَ الْأَخْذِ
 لُودُوا إِلَى الْمَتَابِ قَبْلَ الْجَبْدِ
 أَحَبُّ شَيْءٍ عِنْدَهُمْ خِيَانَةٌ
 الْمُنْكَرُ الْمَيْنُ لَهُمْ خِزَانَةٌ
 إِنْ جُلْتَ مَا جَالُوا فَأَنْتَ الْمَرْحَبُ
 أَنْ تَنْأَى عَنْ فَعْلِهِمْ فَأَلْمَعْضَبُ^(١)
 فَكُنْ عَلَى الْقَهَّارِ ذَا اعْتِمَادٍ
 فَتَنْجُ مِنْ مَضَرَّةِ الْعُنَادِ
 فَتَفِرَنَّ عَنْهُمْ فِرَارًا
 لَا تَطْلُبَنَّ عَنْدَهُمْ قَرَارًا
 إِنْ فَطِنُوا حَسَّكَ حَيْثُ بَاتُوا
 طَارُوا إِلَى نَقِيضِهِ وَلَا تُتَوَا^(٢)

-
- (1) إِنْ جُلْتَ فِيمَا جَالُوا فَأَنْتَ مَرْحَبٌ ، مِنْ أَرْحَبِ الْمَكَانِ إِذَا كَانَ ذَا سَعَةٍ . وَهِيَ لُغَةٌ فِي رَحْبِ بِهِ وَرَحْبِهِ وَأَرْحَبِهِ .
 (2) بِمَعْنَى إِذَا أَحْسَوْا بِكَ حَيْثُ بَاتُوا قَامُوا أَوْ طَارُوا إِلَى نَقِيضِ مَا أَحْسَوْا بِهِ . وَلَا تَوَا مِنْ لَاتِ الرَّجُلِ إِذَا أَخْبَرَ بِغَيْرِ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ .

لَا يُسْلُكُونَ مَسْلَكَ النِّجَاةِ

إِلَّا تَعَازَلُوا إِلَى الْفَضَاةِ^(١)

مَقَالَةً الْحَقِّ لَهُمْ كَالْمَوْتِ

لِذَا تَشَافَهُوا بِخَفْضِ الصَّوْتِ

أَوْ يَلْمَزُوا بِطَرَفِ الْعَيْنَيْنِ

أَوْ هَامَزُوا أَصَابِعَ الْيَدَيْنِ

وَذَلِكَ كُلُّهُ نُفُورُ الْحَقِّ

بِمَا رَضُوا لِلْخَلْقِ دُونَ الْحَقِّ

الزجر عن النفاق

تَخَالَفَ النِّيَّاتِ بِاللِّسَانِ

هُوَ النَّفَاقُ الْمُوصِلُ النَّيِّرَانِ

(1) تعازلوا إلى القضاة ، بمعنى انعزل بعضهم عن البعض في الفضاء والفضاوة لغة في الفضاء

أَطْبَافُهَا سَبْعَةٌ فَلَا عَالِي

دُونَ السُّفَالَى شِدَّةُ النَّكَالِ^(١)

أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ دَرَكِ الْأَوَّلِ

مَأْوَى الْمُنَافِقِينَ قَعْرِ الْأَسْفَلِ

لَا تُرْضِينَ صَاحِبَ الْوَجْهِينِ

تَقْصِدُهُ مَصَائِبُ الدَّارَيْنِ

أَعْجَبُ مَا مِثْلَ لِلْمُنَافِقِ

تَمْزِجُهُ الظَّالِمَ بِالتَّبَارِقِ^(٢)

لَا يَتَذَكَّرُونَ فَضْلَ الْغَيْرِ

إِلَّا تَأَوَّلُوا بِذِكْرِ الضَّيْرِ

(1) إن طبقات النار العليا دون السفلى في الشدة والنكال ، وهي مأوى المنافقين لقوله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ .

(2) يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ تَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ . إلخ وذلك أنهم إذا شاهدوا خير الله على أحد وهو كالبرق تأولوه بذكر الضير وهو الظلام .

فَفَرَّ عَنْهُمْ لِأَشْمَخِ الذَّرِي

كُفَّ صُعُودَهُ شَيَاطِينُ الْوَرَى^(١)

أَخْرَزَاهُمُ اللَّهُ إِلَى السَّعِيرِ

إِنْ لَمْ يُقَهِّقُوا مِنْ الشَّفِيرِ^(٢)

الزجر عن النميمة والغيبة

مَنْ بَلَغَ الْغَيْرَ مَقَالَ الْغَيْرِ

مِنْ جِهَةِ الْقَذَعِ نَمِيمَ الشَّرِّ^(٣)

لَا يَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ الْقَتَاتُ

فِي أَثَرِ نَاقِلِهِ الثَّقَاتُ

(1) ففر عن المنافقين إلى القمم والذري حيث لا يستطيع الشياطين الصعود إليها .

(2) الشفير : الحرف والطرف من كل شيء .

(3) قوله في جهة القذع ، أي على وجه الفحش والإفساد . وقوله : رواه الثقات . يعني رواه البخاري ومسلم في قوله لا يدخل الجنة نمام . وفي رواية : قتات .

مَنْ مَاتَ فِيهَا وَهُوَ يَرْجُو الْجَنَّةَ
 وَلَمْ يَتُبْ فَالْتَّارُ مَأْوَى الْجَنَّةِ
 كَمْ مِنْ فَقِيهٍ زَاهِدٍ اسْتَصْغَرُوا
 وَمِنْ تَقِيٍّ فَاضِلٍ اسْتَقْدَرُوا^(١)
 وَمِنْ كَرِيمٍ هَاطِلٍ اسْتَبْخَلُوا
 سَامَحَهُمْ رَبُّ الْعَالَا إِنَّ جَهْلُوا
 وَمِنْ بَخِيلٍ جَامِدٍ اسْتَهْطَلُوا
 وَمِنْ جَهُولٍ فَاسِقٍ اسْتَفْضَلُوا
 يَسْعَوْنَ فِي هَتَكِ سِتَارِ الْغَيْرِ
 وَمَا بَعُورَاتِهِمْ مِنْ سِتْرِ
 ظُنُّوا بِجَهْلٍ أَنَّهُمْ عَقَّالٌ
 لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ ضَالَلٌ

(1) كَمْ مِنْ فَقِيهٍ أَهَانُوهُ بِغِيبتِهِمْ وَمِنْ تَقِيٍّ رَمَوْهُ بِمَا هُوَ مِنْهُ بَرِيءٌ
 وَكَمْ كَرِيمٍ عَدُوهُ بِخِيَلَا ، وَمِنْ بَخِيلٍ عَدُوهُ كَرِيمَا ، وَمِنْ جَهُولٍ
 عَدُوهُ عَالِمًا يَسْعَوْنَ فِي هَتَكِ أَسْتَارِ غَيْرِهِمْ وَعُورَاتِهِمْ بِأَدِيَةِ وَلَمْ
 يَرَوْهَا .

ذَكَرُكَ مِنْ أَحِيكَ شَيْئًا يَكْرَهُ
 فِي غِيَّةٍ مِنْهُ فَغِيَّةٌ لَهُ
 مَتَى ذَكَرْتَ مِنْهُ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ
 وَذَلِكَ الْبُهْتَانِ بِالتَّوْبِ فَصُنْ
 إِيَّاكَ مِنْ أَكْلِ لُحُومِ النَّاسِ
 فَتَحَرَّمِ الْأَجْرَ لِيَوْمِ الْبَاسِ
 فَذَاكَ شِيمَةٌ مِنَ الْأَشْرَارِ
 شَنْشَنَةُ الْفُسَّاقِ وَالْفُجَّارِ^(١)
 فَيَا إلهي سَيِّدِي مَوْلَانِي
 فَحُطَّ عَنِّي دُونَهُمْ بِلَانِي
 أَرْجُو غَطَاءَ سِتْرِكَ الْعَمِيمِ
 كَسْتَرِ سَيِّدِ الْوَرَى الْكَرِيمِ
 وَذَاكَ طَهَ سَيِّدُ الْأَنْامِ
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ

(١) الشنشة : العادة .

الزجر عن الكبر

وَمَنْ رَأَى النَّفْسَ عَلَى الْبُعُوضِ
لَمْ يَكُ بِالْكَبِيرِ أَخَا رَفُوضِ^(١)
إِيَّاكَ وَالْكَبِيرَ قَدِيمَ الذَّنْبِ
عَصَى بِهِ الْخَنَاسُ أَمْرَ الرَّبِّ^(٢)
وَمَنْ يُنَازِعُ الْكَبِيرَ الْقَاهِرَ
أَلْفَاهُ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ خَاسِرًا^(٣)
أَعْجَبُ مَا لُوحِظَ فِي التَّكْبِيرِ
رُؤْيَا فَضْلِ النَّفْسِ بِالتَّزَوُّرِ

-
- (1) ومن رأى نفسه فوق قدر البعوض لم يك ممن رفض الكبر ويمكن أن يروى «من رفع النفس على البعوض» .
- (2) إياك والكبر فإنه أول ذنب عصى به الشيطان ربه واستكبر وكان من الكافرين .
- (3) لما في الحديث القدسي (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ومن ينازعي واحدًا منهما ألقىته في النار ولا أبالي) .

تَشَامُخُ الْأَنْفِ كَمَا الْكَئِيلِ
تَزْوِيرُهُ الْوَجْهَ كَمَا الْعَلِيلِ
يَمْشِي كَطَالِعٍ إِلَى الْحَدْبَاءِ
يَسْقُطُ فِي مُرْتَفَعِ الْبَطْحَاءِ^(١)
يَعِشَاهُ يَوْمَ الْحَقِّ غَيْمُ الذَّلِّ
يُسَاقُ لِلظِّي بِوَفْرِ الْغُلِّ
تَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَبَاتُهُ
تَزِيدُ كُلَّ حِينٍ مَنْقَصَاتُهُ
تُوبُوا لِخَوْفِ هَادِمِ اللَّذَاتِ
مَيِّتُمُ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ

الزجر عن الكذب

ذَكَرُكَ مَا لَمْ يَكُ بِالتَّعْمُدِ
الْمَيِّنُ فَرَّ عَنْهُ بِالتَّهَجُّدِ

(1) يمشي كمن يقتحم الأرض الحدباء يعطف في مرتفع البطحاء
وفي نسخة : يسقط في متسع البطحاء .

يُنْبِتُ نُقْطَةً كَنَقْرِ الْإِبْرَةِ
بِقَلْبِهِ سَوْدًا تَزِيدُ كِبَرَهُ
حَتَّى تَعْمَ قَلْبَهُ إِنْ لَمْ يُتَبَّ
ثُمَّ عَلَى جَبِينِهِ اللَّعْنُ كُتِبَ
يَرُدُّ قَوْلَهُ وَلَوْ صَدُوقًا
وَلَمْ يَزَلْ مِنْ رَبِّهِ زَهُوقًا
يَسْخَرُ مِنْهُ الْعَامُّ وَالْخَوَاصُّ
وَالْتَامُ وَالنَّاقِصُ وَالْخُلَاصُّ
فَلَا زَمَنَ الْحَقِّ قَبْضَ النَّارِ
تَكُنْ إِلَى الرَّحْمَنِ ذَا الْمِقْدَارِ^(١)

(1) ينبت الكذب نقطة سوداء في القلب تبدأ كنقر الإبرة ثم تكبر
حتى تعم القلب شرا يكتب على جبينه أنه ملعون ﴿لُعِنَتْ أَلَلَهُ
عَلَى الْكَذِبِيِّينَ﴾ وفي الحديث «إذا أذنب العبد كانت نكتة
سوداء في قلبه ، فإذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها ، وإن
زاد زادت حتى تملأ قلبه فذلكم الران الذي ذكر الله تعالى في
قوله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾».

وَالْحَقُّ سَيْفُ اللَّهِ مَا شَيْئًا عَرَا

إِلَّا فَرَا جَمَلَتُهُ حِينَ طَرَا^(١)

فَمِنْحَةٌ لِلَّهِ لِأَصْفِيَّائِهِ

مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ

أَوْثَقُ مَا يَكُونُ مِنْ عُرُواتِ

الْحَقِّ وَهُوَ مَدْفَعُ الْجَمَرَاتِ

تُفَرِّزُهُ الْعِيُونُ كَالْجِمَارِ

تَلَوُّكُهُ الْأَلْسُنُ كَالصَّبَارِ^(٢)

فَقَائِلُ الْحَقِّ بَغِيضُ الْخَلْقِ

لِكَوْنِهِ حَقًّا حَيْبُ الْحَقِّ

(1) الحق سيف الله ما قصده شيء إلا قطع جملته حين يطر ويطرو.

(2) كالصبار أي كالصبر وهو مر .

وإن لَزَقْتَ الحَقَّ دَهْرًا لَمْ تَزَلْ
لأَبَدٍ أَنْ يَرْجِعَ عَنْكَ مَنْ يَطُلُ^(١)
وإن صَبَرْتَ مِنْ أَذَى اللِّئَامِ
عَلَيْهِ صِرْتَ سَيِّدَ الْأَنَامِ

الزجر عن الزنا

مَنْ مَسَّ فَرْجَ مَلِكٍ غَيْرِهِ وَلَوْ
بِهَيْمَةٍ فَعَاهِرٌ زَانٍ حَكَا
لَا تَقْرَبَنَّ الْعِهْرَ رَأْسَ الذَّنْبِ
لَأَنَّهُ يُفْضِي لِبُغْضِ الرَّبِّ
وَمُمَارِسُ الْفُحْشِ أَذَلُّ النَّاسِ
يَمْلَأُ بَطْنَهُ صَدِيدَ الْبَاسِ

(1) من يصل ، من صال يصل صولة . بمعنى إن لزمته الحق
دهراً ولم تزل عليه لأبد أن يرجع عنك من يصل لانتصار
الحق .

فَيَأْكُلُ الزَّقُّومَ وَالْغُسْلِينَا
 مُكَبَّلًا مُسَجَّنًا مَهِينًا
 هُوَ أَكْبَرُ الذَّنْبِ بُعِيدُ الشَّرِّكَ
 لَا تَقْرَبْنَهُ تَكُنْ مَنْ يَكِي
 فَضَرَّجُوا الزَّانِيَ بِالْأَضَامِيمِ
 إِنْ كَانَ مُحْصَنًا بِلا تَوَاصِيمِ^(١)
 حَسْبُكَ لِلْعَاهِرِ يُمْسِي مُقْتَلًا
 إِنْ كَانَ مُحْصَنًا وَإِلَّا مُكَبَّلًا
 فَغَرَّبُوهُ الْعَامَ إِنْ لَمْ يُخْصِنِ
 فَسَوَّطُوهُ مَائَةً مَا يَجْتَنِي

(1) جاء في رسالة النبي لوائل بن حجر أمير حضرموت قوله (من زني مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ، ومن زني مم ثيب فضرجهو بالأضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى) . رواه القاضي عياض في الشفا .

إِقَامَةُ النَّسْلِ بِلَا وَكِيلٍ
 كَفَى بِهِ زَجْرًا عَلَى الْعَقِيلِ
 إِنَّ الزُّنَاةَ أَفْحَشُ الْأَنَامِ
 أَثْقَلُهُمْ حَمْلًا مِنَ الْآثَامِ^(١)
 يُنْقِصُ دِينَ الْمَرْءِ مَعَ ذُنْيَاهُ
 وَيُسْقِطُ الرَّفِيعَ عَنْ عُلاهِ
 وَيُورِثُ الْفَقْرَ لِمَارِسِيهِ
 يُقْصِّرُ الْعُمُرَ لِمَارِجِيهِ
 أَعْمَالٌ مِنْ يَزْنِي بِطُولِ الْعُمُرِ
 تُبْطَلُ كُلُّ يَوْمٍ أَجْرَ الشَّهْرِ^(٢)

-
- (1) تبطل أعمال الخير من الزاني الذي زنى يوماً واحداً فتبطل أعماله في الشهر كله وإن زاد فهكذا يزداد بطلان أعماله .
 (2) أورد الناظم هذه الصفات المستهجنة لتصوير قبح الزنا والتنفير عنه ، وأبو مرة لقب الشيطان أي لا يصحب الشيطان إلا زان وما زان إلا صديق الشيطان .

وَأِنْ يَزِدْ فَذَلِكَ التَّضْعِيفُ
فَتُبْ وَلَا يَغُرُّكَ التَّسْوِيفُ
يُجَاءُ بِاللَّائِي زَنَا مَعَهُنَّ
فِي الْحَشْرِ كَاشِفًا فُرُوجَهُنَّ
يَسِيلُ مِنْهَا الْقَيْحُ وَالصَّيْدُ
يَلْهَثُهَا وَكُلْنَا شُهُودٌ^(١)
لَهُتُ الْفُرُوجِ ذِلَّةٌ عَظِيمَةٌ
يَوْمَ أَحَاطُوا شَمْلَنَا الْأُمَمَ^(٢)
مَا لِأَبِي مُرَّةٍ مِنْ صَدِيقٍ
إِلَّا عُهْرٌ أَفْحَشُ الْفُسُوقِ

(1) روى الحاكم «نهر الغوطة نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهن» .

(2) لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاما وحتى سامها كل مفلس

إِنَّ الزُّنَى شَرُّ كَذَبِ الْغِيَةِ
 وَلَا تَكُنْ مِنْ نَاصِحِ ذَا الرِّيَّةِ
 وَلِذَلِكَ إِلَى التَّوْبَةِ قَبْلَ الشَّيْبِ
 وَتَرَكِ مَا شَبَّ بِهِ مِنْ صَوْبِ
 فِي قُصُورِ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَمِيلِهِمْ لَطَلْبِ الْمَالِ
 هَذَا الزَّمَانُ بَارٍ فِيهِ الْعِلْمُ
 حِينَ عِلَاةٍ وَاعْتِلَاةِ السَّوْمِ
 وَغَيْمِ نُورِهِ بِحُبِّ الْجَاهِ
 وَالْمَالِ وَالطَّمْعِ بِلَا تَنَاهٍ
 وَنَظَرِ الطُّلَّابِ لِلْأَمْوَالِ
 وَنَابِذُوا عِزَّةَ ذِي الْجَلَالِ
 فَطَالِبُ الْعِلْمِ حَيِّبُ اللَّهِ
 وَجَالِبُ الْمَالِ حَيِّبُ اللَّهِ^(١)

(1) حبيب الله : أي مخادع الله الذي لا يخدع إلا نفسه .

حَسْبُكَ مِنْهُ أَنَّهُ ضِيَاءُ
 مَا سَاقَهُ دَجَلٌ وَلَا غَبَاءُ^(١)
 صَاحِبُهُ مُكْرَمٌ مُهَابُ
 أَنَّى تَوَاجَهَتْ بِهِ الرِّكَابُ
 يَخَافُهُ الْعَدُوُّ وَالْوَلِيُّ
 لِأَنَّهُ أَمْرُهُ الْعَلِيُّ
 لِكُلِّ شَيْءٍ عِنْدَهُ تَمْيِيزُ
 وَجِبْ أَوْ اسْتَحَالَ أَوْ يَجُوزُ
 لَا يَلِجُ الدَّارَيْنِ بِالْأَدْبَارِ
 لَيْسَ كَمَنْ يَخْطُو عَلَى الْجِمَارِ^(٢)

(1) العلم لم يسقه كذب ولا ضلال وصاحبه مكرم مهاب أنى توجهت به الركاب : وأي الرجال . وفي نسخة ما سافه بالفاء أي ما علاه .

(2) لا يلج الدارين بالأدبار ولا يأتي البيوت من ظهورها ليس كمن يخطو على الجمار ولا يستقر به القرار ويخطب خطب عشواء .

لست تَرَى سُرُورَهُ دَوَامًا
يَحْذَرُ مِنْ مَسْلَكِهِ هَوَامًا
أَوْضَحُ مَسْلَكٍ إِلَى النَّجَاةِ
أَيَّهْتَدِي الصَّرِيرُ فِي الْفَلَاةِ
الْعِلْمُ نُورُ اللَّهِ فَوْقَ الْأَرْضِ
فَاغْمَسْنِ فِي طُولِهِ وَالْعَرْضِ
لَا تَلْبَسَنَّ أَقْصَرَ الْبُرُودِ
مَا لَمْ يُحِطْ لِعَوْرَةِ الْقَعِيدِ
عَلَيْكَ بِالسَّابِغِ وَالْإِزَارِ
طَوِّقْ وَعَمِّمْ زَائِدَ الْخِمَارِ^(١)
قَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ مَنْ أَعْطَى اسْمَهُ
مَنْ ذَا الَّذِي فِي الْخَلْقِ يَدْرِي وَسْمَهُ
مَرَاغِبُ النَّاسِ بَهَاذِي الدَّارِ
فِي الْمَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّغَارِ

(1) الخمار كالطيلسان وينصح العالم أن يلبس لباس الاحترام .

فَإِنْ طَلَبْتَ الْعِلْمَ نِلْتَ الْكُلَّه
وَإِنْ طَلَبْتَ الْمَالَ نِلْتَ الْجُلَّة^(١)
وَمَنْ أَهَانَ عَالِمًا فَقَدْ عَصَى
وَهُوَ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ قَصِي
مَنْ أَكْرَمَ الْعَالِمَ عَرَضَهُ وَقِي
ذَاكَ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ رُقِي
حَقًّا لِكُلِّ عَالِمٍ شَفَاعَةٌ
لِكُلِّ مَنْ كَانَ لَهُ نَفَّاعَةٌ
يَرْفُلُ فِي الْحَشْرِ كَمَا الْعُرُوسُ
لَأَنَّهُ أُمِّنَ فِي الرُّمُوسِ
يَشْفَعُ مِنْ عَصَبَتِهِ سَبْعِينَ
وَمَنْ قَبِيلِ الْأُمِّ مُؤْمِنِينَ

(1) الجل كالبعض .

يضيءُ في المَلَا كَضَوْءِ الزُّهَرِ
في الرِّوَضِ سَيِّمًا بُعِيدَ الْفَجْرِ
يَرْهَبُهُ الْجِنَّةُ وَالشَّيْطَانُ
يَهَابُهُ الْفَقِيرُ وَالسُّلْطَانُ
وهو خَلِيفُ الْإِنْبِيَا فِي الْأَرْضِ
مُعَظَّمُ الْقَدْرِ شَرِيفُ الْعِرْضِ
وَإِنْ تَكُنْ خَلِيًّا ذَا الْمُنَافَسَةِ
فَنَافَسْنِ بِهِ تَنَالُ مُنَافَسَةَ
مَتَى تَنَافَسَتْ بِذِي سُلْطَانٍ
يَرْمُوكَ لِلْأَشْكَالِ بِالْهُوَانِ
مَتَى تَنَافَسَتْ بِذِي الشَّرَوَاتِ
لَا بُدَّ أَنْ تُخْضَبَ بِالْفَذَرَاتِ
فَقِفْ عَلَى عَتَبَةِ مُلِكِ اللَّهِ
لَيْسَ بِعَاجِزٍ وَلَا بِلَاهِ

تَكُنْ قَرِيرَ الْعَيْنِ طَوْلَ الْعُمُرِ
تُضِيءُ بَيْنَ النَّاسِ لَيْلَ الْبَدْرِ^(١)
وَكَانَ لِلرُّسُلِ نَظِيرُ النَّفْعِ
لَكَانَ لَكِنْ لَمْ يَزَلْ فِي النَّوْعِ
أَوْلَاهُ لَمْ يَقْطُرْ مِنَ السَّمَاءِ
قَطْرٌ مِنَ الْمَاءِ عَلَى الثَّرَاءِ^(٢)
إِنْ مَرَّ عَالِمٌ عَلَى الْقُرَيَّاتِ
يُغْفِرُ بِهَا مِنْ مُسْلِمِي الْأَمْوَاتِ^(٣)
وَيَلُ نَظْرَةً بِوَجْهِ الْعَالِمِ
أَحَبُّ مِنْ نَظْرَةِ كُلِّ الْعَالِمِ

-
- (1) تضيء بين الناس كليلة البدر وفيه حذف حرف التشبيه كقوله
مر مر السحاب ، لو كان لرسول الله نظير في نفع الناس لكان
العلماء ولكنهم في نوعهم بالدون .
- (2) الثراء كالثرى وهو التراب الندي .
- (3) يغفر بها من هم مسلمو الأموات وفيه حذف لضرورة ، تلميح
للأثر القائل إن العالم أو المتعلم إذا مرا على قرية فإن الله
تعالى يرفع العذاب عن مقبرة تلك القرية أربعين يوماً .

الزجر عن حب الدنيا

إِيَّاكَ إِيَّاكَ عَنِ الدُّنْيَا
عَاشِقُهَا مُقَارِنُ الْبَلِيَّةِ
لَيْسَ لِمُعْتَلٍّ بِهَا مِنْ آلٍ
وَلَا لِمُكْثَرٍ بِهَا مِنْ خَلٍّ
إِنْ مَاتَ يَوْمًا بَقِيَ الْحِسَابُ
إِنْ لَمْ يُؤَدَّ الْحَقَّ فَالْعِقَابُ
الْمَالُ فِتْنَةٌ إِلَى الْمَصَاحِبِ
لَأَنَّهُ مُقْتَصَدُ الْكُتَائِبِ^(١)
إِذَا جَمَعَتْهُ جَمَعَتْ الْفِتْنَا
فَحَصِّلَنَّ مَا كَفَاكَ بِالْعَنَا

(1) المال فتنة لصاحبه لأنه مقصود كل أحد من أهل وولد وعشيرة
إذا جمعته جمعت الفتن فحصل ما يكفيك من عمل يدك
بالتعب والنصب وكثرة المال عرضة النوائب ومامل السارقين
والناهبين .

بَلْ إِنَّهُ الْعُرْضَةُ لِلنَّوَائِبِ
 وَمَأْمَلُ السُّرَّاقِ وَالنَّوَاهِبِ
 مَهْلًا حَذَارٍ صَاحٍ بِالتَّكَاثُرِ
 فَإِنَّهُ النُّقْصَةُ فِي الْمَقَابِرِ
 وَارْضَ بِنُورِ اللَّهِ وَابْذُ ضِدَّهُ
 فَإِنْ تَجَدَّ هَذَا رَجَحْتَ عِنْدَهُ
 وَنِعْمَةُ الدُّنْيَا كَحِلْمِ النَّائِمِ
 وَرَاحَةُ الدُّنْيَا كَفَى لِلْقَائِمِ
 سُرُورُهَا مُمَازَجٌ بِالْحُزْنِ
 بِنَاؤُهَا مُؤَسَّسٌ بِالْهُونِ
 سُكَّانُهَا الْجِنَّةُ بِالْفَسَادِ
 أَغْرَاهُمْ ظُواهرُ الْعِبَادِ
 لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا مَحَلَّ الْفَرَحِ
 لَمْ يُصِبِ الرُّسُلَ شَدِيدُ التَّرَحِّ (١)

(١) الترح الحزن ، ومعناه لو كانت الدنيا دار السرور لما أصاب
 رسل الله فيها الأحزان .

لَوْ وَزَنْتَ قَدْرَ جَنَاحِ الْبَاعِضِ
 مَا شَرِبَ الْكَافِرُ مِثْلَ الْبَاطِلِ^(١)
 فَإِنَّهَا مَسْجَنُ الْأَبْرَارِ
 وَنِعْمَةٌ وَجَنَّةُ الْكُفَّارِ
 وَجِيفَةٌ مُنْتِنَةٌ الزُّهَادِ
 عُقْبَى جَمِيعِهَا إِلَى النَّفَادِ
 وَلَوْ عُمِّرْتَ عُمُرَ سَبْعِ النَّسْرِ
 لَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَسِيرُ لِلْقَبْرِ^(٢)

- (1) وذلك إشارة إلى الحديث « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح الذبابة ما سقي الكافر منها جرعة ماء » وفي البيت التالي إشارة إلى الأثر القائل : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .
- (2) وعمر سبع النسر خمسمائة وستون لأن كل نسر يعيش ثمانين زعموا أن لقمان بن عاد سأل الله طول العمر زمن النبي هود فاستجيب له وقيل له أن يأخذ الفرخ من كل نسر حين خروجه من البيضة فيريه فيعيش ثمانين سنة كلما هلك نسر خلف نسراً حتى هلك ستة نسور فسمى السابع لبداً لأنه عاش أطول من غيره ولما هلك لبدا مات لقمان بعد ما سئم الحياة وإليه أشار النابغة بقوله :
- ==

حَسْبُكَ لَا تُوقِنُ بِالْعَدَاةِ
 أَأَنْتَ فِي الْأَحْيَاءِ أَوْ الْأَمْوَاتِ
 الْقَبْرِ أَوَّلٌ مِنَ الْمَنَازِلِ
 وَبَعْدَهُ جَمْعٌ مِنَ الْمَهَائِلِ ^(١)
 أَهْوَنُهَا الْمَوْتُ بِالْإِتِّفَاقِ
 وَمِنْ هُنَا تَرْتُبُ ارْتِثَاقِ
 فَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ مَنْ لَا يَنْزِلُ
 دَوْمًا بِدُنْيَا بَلِ قَرِيبًا يَرْحَلُ
 لَمْ رِيضٌ يَلْقَى بِهِ صَنِيعَةٌ
 وَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ التَّقْيِ مَنِيعَةٌ
 لَوْ يَسْتَطِيعُ الْآدَمِيُّ أَنْ يَرْكَعَا
 مَقْدَارَ عَمْرِهِ لَكَانَ أَنْفَعَا

== أَمْسَتْ خَلَاءَ وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا

أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لَبَدٍ

(١) المهيل والمهال المكان المخوف والجمع مهائل كمخاوف .

الزجر عن مخالطة السلطان

إِيَّاكَ مِنْ تَخَالِطِ السُّلْطَانِ
بَلْ فَوِّضَ الْأَمْرَ إِلَى الرَّحْمَنِ
فَوَكَّلَنَّ النَّفْسَ لِلْمَنَّانِ
وَلَا تَرِدْ مَنَاهِلَ الشَّيْطَانِ
جَلَّ الْأَنَامُ نَحْوَهُمْ التَّصَقُّوا
بِالصَّيِّتِ وَالْجَاهِ مَعَ الدُّنْيَا الزَّقَا
أَنَّ لَهُمْ لِكُلِّ مُلْكٍ مَشْرَبًا
وَلَا يُيَالُونَ الْفَقِيهَ مَشْرَبًا
يَرَوْنَ أَنَّ خُلْطَةَ السُّلْطَانِ
أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ
قَدْ جَهِلُوا أَنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ
مَنْ قَسَمَ الْأَرْزَاقَ فَوْقَ الْعَرْشِ

فليس للمخلوق بالشُّمُول

في الجَلْبِ والدَّفْعِ مِنَ السَّيْلِ

فاعْلَمْ بِأَنَّ أَعْدَلَ الْمُلُوكِ

لَا رَفَعَ الرُّبُتَاتِ ذُو سُلُوكٍ^(١)

لَا يَنْصَبُ الْبَاطِلَ لِلصَّدُوفِ

لَا يَنْسِبُ الصَّدَقَ إِلَى الزَّلُوفِ

لَكُونِهِ يَحْكُمُ بِالْقُرْآنِ

وَالسُّنَّةَ الْبَيِّنَةَ الْبُرْهَانَ

لَا يَأْكُلُ الْأَمْوَالَ بِالْبُطْلَانِ

وَمَنْ يَكُنْ كَذَاكَ مِنْ سُلْطَانٍ

(1) المعنى اعلم بأن أعدل الملوك الذي يرفع إلى المرتبات هو الملك ذو سلوك وهو من لا ينصب الباطل للصدق ولا ينصب الصدق إلى من يتقرب إليه بالزلفى ولا يأكل الأموال بالبطلان وكل من كان هكذا فإنه يكون في الجنان .

فَجَابِذَنَّ وَصَلَهُ تَجْبِيْذَا

وَعُوْذَنَّ غَمْرَهُ تَغْوِيْذَا^(١)

مذهب النجاة

عَلَيْكَ بِالتَّسْبِيْحِ وَالتَّلَاوَةِ

وَصَلِّصَلَنَّ فِي السَّرِّ وَالْجَلَاوَةِ

(1) اختتم الناظم منظومته بهذا الباب الذي سماه مذهب النجاة وقد جمع فيه أسباب النجاة باختصار كما جمع النبي المنجيات في قوله أما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا ، وخشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر . فمثاله عند الناظم ما سماه مذهب النجاة وهو مذهب الذكر والتسبيح والتلاوة والصلاة على رسول الله وملازمة المسجد والصبر على جفاء الناس ونكران الذات وأضاف إلى ذلك الأكل من عمل اليد بالتجارة والحرث والكسب الحلال واجتناب الشبهات ، وفي ذلك دليل على أن التصوف عند المؤلف يجمع بين القيادة للآخرة والعمل والكسب للمعيشة في الدنيا ، ذلك هو التصوف الصحيح النابع من مفهوم الكتاب وسنة وسيرة الخلفاء الراشدين .

بِحَاضِرِ الْقَلْبِ مَعَ الْحَشْوَعِ
 وَلَا تَزَلْ مُكْثِرَ الرُّكُوعِ
 فَلَا زِمَ الْمَسْجِدِ كُلِّ الْوَقْتِ
 وَادَّخِرِ الزَّادَ قَبِيلِ الْفَوْتِ
 فَاصْبِرْ عَلَى جَفَاءِ خَلْقِ اللَّهِ
 وَصَيِّرِ النَّفْسَ كَذِي سِفَاهِ
 فِوَاطِنَ الْبَيْعِ وَالْحِرَاثَةِ
 لَكِي تَنَالَ الرَّزْقَ وَالْغِيَاثَةَ
 تَكُنْ مُطِيبًا بَلَا اشْتِبَاهِ
 تَدْخُلْ إِلَى الْجَنَّةِ بِانْتِبَاهِ
 صَرَفُ الْعِنَانِ لِلْجَنَانِ يَنْتَهِي
 صَلِّ إلهي لِلنَّبِيِّ الْمُنتَهِي^(١)

(1) إلى هنا ينتهي صرف العنان قد ينتهي إلى أبواب الجنا والنبى المنتهى أي خاتم الأنبياء يكشف الغيا من الغياية كالغمامة والسحابة وزنا ومعنى .

وآله والصَّحْبُ مَا دَامَ الضُّيَا
يُزْحَرْحُ الدُّجَى وَيَكْشِفُ الْغَيَا
يَا رَبِّ فَأَنْفَعْنَا بِهَا جَمِيعًا
وَمَنْ يَكُنْ بِمَا بِهَا صَنِيعًا
وَإِنْ أَكُنْ عَلَى خِلَافٍ وَعَظِي
فَاكْسُرُوا عَلَيَّ نَبْلَ رُعْظِي^(١)
يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لِي عَلَى جِرَاءَتِي
لَقَدْ حَمَلْتُ النَّفْسَ فَوْقَ طَاقِي^(٢)

-
- (1) الرعظ بالضم مدخل النصل في السهم يقال كسر عليه رعاظ أنباله إذا اشتد عليه الغضب لأن الرجل في شدة الغضب ينكت الأرض بالسهم حتى ينكسر رعظه بمعنى إذا خالف عملي وعظي وأغضبوا على غضبا شديدا .
- (2) رجع الناظم فاستغفر ربه على ما قال وحمل نفسه فوق طاقته ، إذ لا حول على الطاعة ولا قوة على ترك المعصية إلا بالله .

فَاكْتَفِ مِنْ وَعْظِي بِالْيَقِينِ

يَحُلُو بِفِيكَ الدَّبْسُ فِي الْعَجِينِ^(١)

نَظَّمْتُهَا بِلَحْمَةِ الْمَعَانِي

بِقَالَِبِ الْبَدِيعِ وَالْيَبَانِ^(٢)

بِمَنَوَالِ الصُّوفِ مَعَ أَصْلَيْنِ

فَقُهُ وَتَوْحِيدٍ كَتَوَآمِينِ

وَلَا تَرَى بِهِمَا مِنَ التَّعْقِيدِ

لَفْظًا وَلَا حَرْفًا مِنَ التَّرْدِيدِ

(1) الدبس ما عقد بالنار من عصير عنب أو عسل النحل وعسل التمر . يقول الناظم إن لم أستطع أن أعمل بوعظي فاكتف أنت بما تيقنت أنه صحيح وحق ، فذلك يجعل الدبس حلوا في فيك من بين كل عجین حيث كانوا يضيفون الدبس إلى العجين ليحلوا .

(2) يقول الناظم نسجتها بنسج للمعاني في قالب من البيان بدیع على منوال التصوف مع الفقه والتوحيد .

لَيْسَ بِهَا تَنَافُرُ الْحُرُوفِ

وَلَا بِهَا شَيْءٌ مِنَ الطُّرُوفِ

عَوَّذْتُهَا بِجُمْلَةِ الْقُرْآنِ

مَنْ لَمْزُ كُلِّ حَاسِدٍ فَيَّانَ

وَإِنْ رَأَى بِهَا أَخُو الْبَلَاغَةِ

وَالنَّحْوِ مِنْ صُنْعٍ يَرِ الْمَسَاغَةَ^(١)

نَظَمَهَا الْفَقِيرُ مُودُ الْقَوْمَتِي

حَبَاهُ رَبُّهُ نُصُوحَ التَّوْبَةِ

أَبْيَاتُ أَرْجُوزَتِي عَدَّهَا أَطَرَ

وَكُلَّ مَنْ يَعْمَلُ مَا بِهَا يَطِرُ^(٢)

(1) وإن رأى ما بها صاحب البلاغة والنحو ير ما بها من صنع
المساعة أو مساعة الصنع .

(2) أبياتها مائتين وعشرة المرموزة في قوله أطر على حساب
الجمال الأبجدي فالألف بواحد والطاء بتسع والراء بمائتين وكل
من يعمل بما بها يطر إلى علاء المجد وسماء العز ، والحمد
لله رب العالمين .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٣
عصر المغيلي وبعده العصر الفلاني.....	٧
ناظم صرف العنان.....	٩
الزجر عما لا يعني من الفضول.....	٢٦
في الزجر عن الحقد والحسد.....	٢٨
الزجر عن الخيانة.....	٣١
الزجر عن النفاق.....	٣٣
الزجر عن النميمة والغيبة.....	٣٥
الزجر عن الكبر.....	٣٨
الزجر عن الكذب.....	٣٩
الزجر عن الزنا.....	٤٢

٤٦	 في قصور طلاب العلم وميلهم لطلب المال.....
٥٢	 الزجر عن حب الدنيا.....
٥٦	 الزجر عن مخالطة السلطان.....
٥٨	 مذهب النجاة.....
٦٣	 الفهرس.....